

الأبعاد اللسانية الحديثة في الدرس النحوي العربي القديم

Modern linguistic dimensions in the old Arabic grammatical lesson

هشام بن حليلة *

تاريخ القبول 2018/11/3

تاريخ تقديم البحث 2018/02/20

Abstract

Modern linguistics in its various theories gave new impetus to linguistic studies, And has achieved successes of the language teaching, It had strong influence on the old Arabic grammatical lesson, The views of modern Arab researchers differed between supporters and opposites of these theories, The supporters tried to lay down Arabic linguistic concepts that were compatible with Western theories, And took it as an excuse to demolish what the old Arab grammarians built, They were influenced by the principle of modern linguistics as purely cognitive and objective, And studying the language for itself and for itself. These are the reasons why many believe that the Arabic grammar towards a normative education does not constitute an integrated linguistic theory, Which are unfair opinions of the grammatical heritage. Our ancestors have controlled the language accurately, thus forming an integrated theory with its origins, terminology and concepts, inspired by many Western theories such as Transformational theory of Naomchomsky.

Keywords: linguistic, Grammar, normative grammar Theory .

ملخص

أعطت اللسانيات الحديثة بمختلف نظرياتها دفعا جديدا للدراسات اللغوية، وحققَت نجاحات باهرة في مجال تعليمية اللغات، وكان لها تأثيرها القوي على الدرس النحوي العربي القديم، نتج عنه اختلاف توجهات الدارسين العرب المحدثين، بين مؤيد ومعارض لهذه النظريات الحديثة، فحاول المؤيدون إرساء تصورات لسانية عربية توافق النظريات الغربية، واتخذوها ذريعة لنقض ما بناه النحاة الأولون، منبهرين في ذلك بما تروج له هذه النظريات، من ادعاء المعرفة المحضة، والموضوعية الخالصة، ودراسة اللسان لذاته ومن أجل ذاته، وهي الأسباب التي جعلت الكثير يعتقد أن النحو العربي نحو تعليمي تعقيدي لا يشكل نظرية لسانية يعتد بها، وهي آراء مجحفة بحق التراث النحوي، فقد ضبط أسلافنا اللغة ضبطا دقيقا، مشكلين بذلك نظرية متكاملة بأصولها ومصطلحاتها ومفاهيمها – وان اختلفت في المنهج والخلفيات المعرفية – استلهمت منها الكثير من النظريات الغربية المعاصرة على غرار النظرية التوليدية التحويلية للأمريكي نعوم تشومسكي.

الكلمات الدالة: اللسانيات، النحو، النحو المعيارية، النظرية.

* قسم اللغة العربية ، جامعة مولود معمري تيزي وزو الجزائر

مقدمة

شهد الدرس اللغوي مع مطلع القرن التاسع عشر طفرة نوعية، بعدما حققت اللسانيات نتائج إيجابية في دراسة الظواهر اللغوية، بعد فترة الجمود والخلط والفلسفة التي سبقت النهضة الحديثة، مما أدى إلى إقصاء الدراسات القديمة إذ أنها -بزعمهم- لم تشكل علما حقيقيا، وقد وقفت البنيوية الوصفية ممثلة في بعض الدارسين العرب موقفا سلبيا اتجاه النظرية النحوية العربية، وانتقدتها أشد انتقاد بعدما ادعت لنفسها العلمية والموضوعية، والدراسة المجردة للغة، ورمت النحو العربي بالمعيارية والمنطق، والإيغال في التعقيد لتمييز الصحيح من الخاطئ، بيد أن أصل منشئه هو صيانة اللسان العربي مما طرأ عليه من الزيغ واللحن، وهي آراء تنم عن نظرة سطحية في التراث العربي، خلصت إلى نتائج سلبية، فما أسباب القطيعة للدرس اللغوي العربي؟ وهل شكلت الدراسات اللغوية نظرية لسانية متكاملة تضاهي اللسانيات الحديثة؟ وكيف ذلك؟

تفرض هذه الإشكاليات عرض العلاقة بين اللسانيات الحديثة وما يقابلها في الدرس النحوي، ببيان ظروف النشأة واختلاف البيئة ثم المبادئ والأسس والمنطلقات والأهداف، يليه التطرق لأسباب القطيعة والتغافل عن جهود العلماء العرب في الدراسات اللغوية، ثم إثارة بعض الجوانب المغمورة التي ضبطها أسلافنا ضبطا غير منخرم، والتي لازال يحفها الغموض، وينقصها التأصيل العلمي، ولعل قضية الصرف العربي وما يتعلق به من الحروف ومخارجها وتركيبها إلى بعضها البعض لتشكل أصغر حلقة في دائرة الكلام، قضية تحتاج إلى مزيد عناية باستجلاء مكنوناتها وأسرارها، وبيان أسبقية العرب القدماء بدءا بالخليل وسيبويه إلى كثير النظريات الدقيقة، في وصف اللسان العربي، وإحكامه غاية الإحكام في تلك العصور الغابرة التي كانت تفتقد لأدنى شروط البحث، ومع ذلك ظلت نظرياتهم طوال هذه القرون محل تقدير وتسليم، وبيان أن عملهم وإن كانت تشوبه الصبغة التعليمية ، فقد كانت لهم آراء نظيرية للمسائل النحوية والصرفية والصوتية، شكلت نظرية لسانية متكاملة استلهمت من أصولها كثير من النظريات الحديثة.

01 — اللسانيات الحديثة و الدرس النحوي القديم:

ظهرت اللسانيات الحديثة في الغرب مطلع القرن التاسع عشر، على يد اللساني السويسري فرديناند دي سوسير Ferdinand de saussure (ت1913) واللسانيات (Linguistic) هي العلم الذي يدرس اللغة الإنسانية دراسة علمية تقوم على الوصف ومعاينة

الوقائع بعيدا عن النزعة التعليمية والأحكام المعيارية¹، واتخذت لنفسها خلفيات معرفية ومنهجية، وابتنت نظريتها على أسس وتصورات تهتم -كما سوسير- "بدراسة اللغة في ذاتها ولذاتها"²، واشتغلت بطرق منضبطة مسائرة في ذلك ثورة العلوم التجريبية، وادعت لنفسها العلمية المحضة والموضوعية الخالصة، يقول الحاج صالح: "ونخص بالذكر البنوية الأوروبية (structuralism) التي يدعي أصحابها أن اللغات لم تدرس دراسة علمية حقيقة من قبل هذا العصر"³.

وقد تميزت اللسانيات الحديثة بمجموعة من الخصائص والسمات من ذلك توسيعها لمناهج دراسة الظواهر اللغوية، فقد سلكت المنهج المقارن ثم التاريخي ثم الوصفي ثم التقابلي⁴، وتميزت بالشمولية فقد سعت لجمع الظواهر اللغوية من الأصوات والنحو والصرف والدلالة في درس واحد يخضع لمنهج علمي، ينبذ المعيارية ويتعدى عن الذاتية والتخمين⁵.

أما الدرس اللساني العربي ممثلا في النحو فقد سبق نشأته إرهابات وتزامنات، فبعد أن تأثر اللسان العربي بالمد الأعجمي الوافد، وذلك في الزمن الأول من إشراق شمس الحضارة الإسلامية على الأمة العربية، فضعت السلائق وانحرفت الألسن، وظهرت للكنة وفشا اللحن، ووجد طريقه إلى القرآن الكريم حتى سُمع فيه اللحن، فكانت عملية نقط المصحف التي انبرى لها أبو الأسود الدؤلي (ت 69) أولى الخطوات العملية التي مهدت لنشأة النحو، لأن نقط المصحف يستلزم - كما قال الدكتور الحاج صالح- "التصفح الكامل للنص القرآني ثم إن في النقط ما يدل على الإعراب،

فقد استقرى أبو الأسود وأصحابه النص القرآني آية آية لنقطه، فلا يتصور أن يستمروا في هذا العمل الذي يتطلب الانتباه الشديد ولا يتفطنوا إلى شئ مثل هذا: وهو استمرار وجود النقطة المشيرة إلى الضمة مع هذا اللفظ الذي يدل على الفاعل واستمرار النقطة الدالة على الفتحة لهذا اللفظ الآخر الذي يدل على المفعول وهكذا"⁶، وروى القفطي أن أبا الأسود لما أراد نقط المصحف استدعى غلاما كاتباً وقال: إذا رأيتني قد فتحت فمى بالحرف فانقط نقطة فوقه على أعلاه، وإن ضمنت فمى فانقط نقطة بين يدي الحرف، وإن كسرت فاجعل نقطة من تحت الحرف، وإن مكنت الكلمة بالتونين فاجعل أمارة ذلك نقطتين. ففعل ذلك⁷، إن هذا الإبداع الذي استحدثه أبو الأسود لم يأت صدفة، بل هو نتاج تفكير طويل وتأمل دقيق أسس لنظرية متكاملة كان مصطلح الضم والفتح والكسر والتونين أول بواكيرها، وتبع أبا الأسود تلامذته ومن جاء بعدهم كعبد الله بن أبي اسحاق وأبو عمر بن العلاء وعيسى بن عمر والخليل وغيرهم، فاكتمل النحو واجتمع شتاته واستوى على سوقه في كتاب سيبويه.

02- أسباب القطيعة الإستمولوجية بين اللسانيات الحديثة والنحو العربي:

لقد حققت الدراسات اللسانية الحديثة نتائج باهرة أذهلت الدارسين بتنظيراتها وأسسها التي روج لها أصحابها ودافعوا عنها، وحاولوا في كل مرة ترسيخها وتصحيحها، وصياغتها صياغة مثلى، وذلك بادعاء العلمية والموضوعية، واضطروا إلى بسط خصائص التفكير اللغوي في تاريخ البشرية، لينتهوا إلى إبراز الفوارق النوعية والمقابلات المبدئية مما تتجلى به طرافة اللسانيات، فعادوا إلى العصر القديم (ما قبل الميلاد)، ثم العصر الوسيط، ثم العصر الحديث منذ النهضة في العالم الغربي ابتداءً من ق 15، إيماناً منهم بضرورة المنهج التاريخي القاضي بكشف مقومات الدرس اللغوي القديم والإفادة منه، ثم المنهج المقارن في القرن التاسع عشر بعد اكتشاف اللغة السنسكريتية، وهكذا ينعدم ذكر العرب عند التأريخ للتفكير اللساني البشري بما يحدث قطيعة في تسلسل التاريخ الإنساني⁸.

يقول الدكتور عبد الرحمان الحاج صالح: "هذا والذي منع أيضا الباحثين من الاهتمام أو الالتفات على الأقل إلى ما كان يجري في القديم من البحوث العلمية من الناحية الإستمولوجية هو الاقتناع المطلق بتطور العلوم وارتقاءها على خط مستقيم لا يكون فيه سبق أبدا حسب ما يقرره المذهب الإيجابي الذي أسسه أكوست كونت (A-comte) الفيلسوف الفرنسي، وكل من اتبعه ابتداء من القرن التاسع عشر إلى عهد قريب، وذلك بإقرارهم الأطوار الثلاثة لتطور الفكر الإنساني عندهم: الديني والميتافيزيقي والإيجابي، فلا يتصور على هذا أن يكون ظهر أي مفهوم علمي حقيقي حسب زعمهم قبل العصر الإيجابي (وهو عصر النهضة الأوروبية) وهذا من أبعد الأقوال إلى الحقيقة"⁹.

وهذا الأمر له أسبابه وخلفياته فاللسانيات تهتم بالدراسة العلمية الدقيقة للظاهرة اللغوية، في زمن انفصلت العلوم عن بعضهما البعض، وشهدت نضجا فكريا هيا لدراسة مثلى وتأصيل دقيق، في حين أن النظرية العربية كانت "مبثوثة في خبابا التراث الحضاري بمختلف أصنافه وأضرب مشاربه"¹⁰، كما أن الدراسات آنذاك شهدت نوعا من التداخل والترابط الوثيق فصعب على البعض استخلاص النظرية النحوية المتكاملة "ونذكر هاهنا صنفا آخر ممن كان له تصور خاطئ عن حقيقة النحو العربي وعن دوره وأكثرهم ينتمون إلى هذه النزعة الوصفية وتبعهم في ذلك الكثير من المتخصصين في تعليم اللغة العربية، فهم ممن ينكر اللجوء إلى المنطق في تحليل اللغة بدعوى أنها لا تخضع للمنطق...وقد يكون السبب في ذلك أيضا التخليط بين نوعين من الدراسة: العلمية المحضة والتعليمية الاكتسابية"¹¹، هذا من الناحية العلمية والخلفية المعرفية، أما عن الجانب الموضوعي فإن اللسانيات تدرس اللغة بعيدا عن

أي انتماء عرقي أو مذهب إيديولوجي، والدرس النحوي العربي صاحب الرسالة المحمدية، وحفظ النص القرآني كان أظهر أسباب نشوءه، ف"للعنصر الديني أثره في الغفلة عن التراث اللغوي العربي، ذلك أن قضايا اللغة كانت ملابسة لقضايا المعتقد في كل الحضارات التي عرفت بكتاب سماوي¹²، ومهما يكن فلن يضير الدرس النحوي اتصاله بمنهج عقدي، "لأن الذين وضعوه قاموا باستقراء النص القرآني لاستنباط الأصول بالموضوعية اللازمة... ثم احتاج الباحث فيه أن يبرر ما يجيزه من الكلام فاضطر أن يأتي بأدلة علمية من قبيل التفسير العلمي، وظهر ذلك في زمان عبد الله ابن أبي إسحاق حتى بلغ الغاية في كتاب سيويه"¹³،

إن النظرة التاريخية للنحو العربي تنبئ بأن النحو إنما قام لأمر ديني وهو حماية القرآن الكريم من التحريف والتصدي لظاهرة اللحن، بعدما توافد الأعاجم على الحواضر الإسلامية، فألحت الحاجة على العلماء أن يضعوا قواعد تبين الصحيح من الفاسد من الكلام، فظهرت عليه الصبغة التقعيدية والمنهج التعليمي الذي يسعى الى وضع المقاييس العامة للغة، فاشتغل الناس بالتطبيق للمسائل الصرفية والصوتية والنحوية، فخيّل لبعض الدارسين المحدثين أن النحو العربي القديم يعتريه الخلط والتخمين وتشوبه الأوهام والافتراضات والجدالات وهو ما يجافي طبيعة اللغة فمثلاً يقول الطيب البكوش " لكن ما قد يدعو إلى شيء من الاستغراب هو أن يعيش العرب أكثر من اثني عشر قرناً على هذه النظريات (يقصد النظريات النحوية القديمة) دون أن يطوروها أو يعيدوا النظر فيها" وقال " تتضمن النظرية النحوية عيوباً جوهرية"¹⁴، وهي آراء منبثقة عن مؤسس اللسانيات الحديثة فردنان دي سوسير الذي كان يرى أن هذه الإتجاهات اللسانية القديمة لم تؤسس علماً حقيقاً، وفي هذا الصدد نشير إلى ما ذكره ليونزو وهو من أبرز أعلام البنيوية " أن اللسانيات هي علم تجريبي يقوم على التجربة لا على الحدس والتأمل"¹⁵، وهذا الكلام على خطورته حجة عليهم لا لهم، فإن النظرية الباقية لما يزيد عن اثني عشر قرناً، وتلقاها الجيل بعد الجيل بالقبول، وارتضوها بالتسليم، ولم يجرؤ أحد منهم على رفضها، أو الإتيان ببدل يعوضها، إلا ما كان من ابن مضاء ومن تبعه من المحدثين، ولم يلق لدعواه أذانا صاغية، بل هي مجرد محاولة فرضها عصرزمني ومذهب فقهي، أما عن المعيارية فيقول الحاج صالح: ولم يتخذ العلماء هذا المنهج العلمي الصرف الذي نشاهده اليوم إلا في بداية القرن العشرين بظهور سوسور ودعوته إلى البحث في اللغة في ذاتها ومن أجلها، والامتناع بالتالي من النظرة المعيارية ومن جهة أخرى التمسك بالوصف لاغير، فسئز أنهم قصرُوا الدراسة العلمية في وصف الظواهر اللغوية كظواهر

فقط"¹⁶، وهو الأمر الذي جعل اللسانيات في حالة من التنظير استدعى لها شقا آخر يكون بمثابة المختبر التي تجرب فيه هذه النظريات وهي اللسانيات التطبيقية.

وقد حاول الكثير من اللغويين العرب المحدثين إرساء تصورات لسانية جديدة تسعى لتوطيد أركانها على أنقاض التراث النحوي العربي، وذلك بنقده ودحض آلياته، ورميه بالافتراض والتخمين، وقيامه على التأويلات الجدلية التي لا طائل منها، والتشكيك في كثير من منطلقاته، وتوصيفاته وتعليلاته ، تارة باستصعابها وتارة بتعييرها بالتخليط والقدمة وأنها تتماشى مع علم اللغة الحديث والتكنولوجيات المسيرة له، وراح يصفها بعضهم بأنها "خاضعة لجبروت سيبويه رغم مرور ألف سنة على وجود هذا الإمام القديم ورغم أن هذه اللغة لم تعد في عصرنا الحاضر¹⁷، وليس من اللائق ولا المنصف أن نحكم للشيء أو عليه لكونه قديما أو حديثا، أو إطلاق أحكام مستعجلة تخلص إلى استنتاجات تسمه بالغلط، يقول تشومسكي: اللسانيات الحديثة انقطعت بطواعية عن النظرية اللسانية التقليدية، وحاولت إنشاء نظرية لغوية جديدة كل الجدة ومستقلة، ولم يهتم اللسانيون المحترفون عموما إلا قليلا بالإسهامات المقدمة إلى النظرية اللسانية من قبل التقليد الأوروبي السابق، واهتموا بمسائل مختلفة جدا، داخل نطاق ثقافي بعيد عن أن يجعلهم مدركين للمسائل التي أثارها الدراسات اللسانية الأكثر قدما، والتي أوصلت إلى النتائج المحققة إلى حد الآن، ومازلنا اليوم نجهد كثيرا من إسهامات الماضي هذه أو ننظر إليها باستخفاف غير خفي"¹⁸

وهذه الشهادة من تشومسكي تنذر بأهمية ما وصل إليه الأقدمون وتجعلنا نعتقد في سلامة تراثنا اللساني العربي، بل تفرض علينا قراءته قراءة متأنية، مع مراعاة خصوصية العقلية والبيئة العربية وأصول التفكير ودوافع النشأة ثم التمييز بين التصورات العلمية الناضجة، وما يصحبها من سبل تعليمية إذ كان لزاما على النحاة آنذاك أن ينزلوا باللغة إلى التقعيد والتبسيط حتى يلحق من ليس بعربي بأهلها في الفصاحة وحتى يسان الكتاب العزيز، وهذان الطريقتان هما ما يعرف عند المتأخرين بالنحو العلمي لأن الذين وضعوه قاموا باستقراء النص القرآني لاستنباط هذه الأصول بالموضوعية اللازمة¹⁹، والنحو التعليمي وهو إعادة صياغة تلك الأصول بما يتوافق وقدرات المتعلمين، وهل ما وصلت إليه اللسانيات الحديثة وخاصة البنيوية الوصفية، من تبوئها صدارة الدراسات اللغوية في ظرف وجيز، واكتمال أسسها وأركانها، وضبط مفاهيمها ومصطلحاتها، محض نجاة فردية وتفكير عميق ينفصل عن كل جهد تاريخي؟ وإنه لضرب من الخيال وحال من الهذيان، وغريزة العقل لا يحدها زمان ولا يحتويها مكان، ولا ينفرد بها جيل عن أجيال، وصدق الشاعر: هل غادر الشعراء من مترد²⁰.

03-النظرية اللغوية عند العرب:

كما تبين سلفا أنه ينبغي التحرر من المفهوم الضيق للنحو، بالفصل بين مفهومي النحو العلمي والنحو التعليمي، وإدراك العلاقة بينهما، ف" النحو التعليمي هو مجموعة القواعد النحوية المنتقاة مما تم التوصل إليه في علم النحو(النحو العلمي)"²¹، والنحو العلمي بالمعنى الذي يشكل نظرية واضحة الأسس وبينه المعالم ومكتملة المفاهيم هو "المعنى اللساني الحديث والمعاصر الذي يراد من خلاله مجموع القواعد الضابطة للنظام اللغوي، سواء ما تعلق بالمستوى الصوتي الوظيفي(الفونولوجي) أم المستوى الصوتي (المورفولوجي) أم المستوى النظمي التركيبي، وهو نفس المفهوم الذي نجده عند النحاة واللغويين الأوائل من أمثال الخليل بن أحمد الفراهيدي، وتلميذه سيبويه حتى أبي علي الفارسي وتلميذه ابن جني"²²، فإنهم نظروا في اللغة نظرة مجردة موضوعية استقوها من وعائها الأصلي من أفواه العرب الأقحاح، وأعملوا فيها فكرهم محتدين في ذلك بالجو الحضاري الذي استنار بنور الإسلام والقرآن، فتشكلت لديهم نظرية متكاملة بأصولها ومفاهيمها ومصطلحاتها، ومن أبرز مقوماتها ما شاع في كتب النحو وأصوله مثل السماع والقياس والتعليل والعامل والإعراب والبناء والإسناد، ولئن كانت النظرية النحوية القديمة تشابكت فيها الأصوات مع البنى والتراكيب والدلالة فإنه يعطيها بعدا شموليا متكاملا مترابطا يشكل قانونا للولوج الى هذه اللغة الشريفة، يقول المسدي:م"

وقد أسلفنا أن الدارس اللساني ما إن يتمعن نصوص التراث العربي في مختلف مشاريعه اختصاصا وانتماء حتى ينكشف له من وراء أبنيته الشكلية مخزون نظري يبيح الجزم بأن كل التصورات في هذا المجال كانت تصدر عن نظرية مولدة حركيا لكل الاختمار الفكري"²³.

ومن باب التدليل والبرهنة على صحة النظرية النحوية العربية نأخذ أمثلة من الصرف العربي وعلاقته بالأصوات والمعاني، وهذا الفن من العربية يستصعبه كثير من الطلاب والدارسين وأخذه أصحاب التيسير ذريعة للوصول إلى مأربهم، و"الدرس الصرفي هو فرع من فروع اللسانيات، ومستوى من مستويات التحليل اللغوي، يتناول البنية التي تمثلها الصيغ والمقاطع والعناصر الصوتية التي تؤدي معان صرفية أو نحوية، ويطلق الدارسون المحدثون على الدرس مصطلح المورفولوجيا(Morphologie)"²⁴، ولم يكن الصرف يوما قسيم الصرف بل عده الأولون قسما منه، قال الرضي: واعلم أن التصريف جزء من أجزاء النحو عند أهل الصناعة²⁵، وبدأ سيبويه في كتابه بالنحو وثنى بالصرف، صنيع من يراهما علمين عددا

وموضوعا، وعلمنا واحدا قصدا وغاية²⁶، لأن الإعراب لا يقوم إلا على معطيات المباني الصرفية، وكثيرا ما تتعلق بها المعاني النحوية.

كما تنبه علماؤنا القدامى إلى الصلة الوثقى بين الأصوات والتغيرات الصرفية، والأصوات هي اللبنة الأولى في تشكيل البناء اللغوي، وهي حلقة الوصل بين الصيغ ومعانيها والسياقات التي وضعت لها، يقول ابن جني: " فأما مقابلة الألفاظ بما يشكل أصواتها من الأحداث فباب عظيم واسع، ونهج ملتب عند عارفه مأموم، وذلك أنهم كثيرا ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبر عنها بها، فيعدلونها ويحتذونها عليها، وذلك أكثر ما ن قدره وأضعاف ما نستشعره"²⁷، وقد فتح ابن جني في هذا بابا واسعا برع فيه وأبدع، وليس إبداعه بخارج عما حرره سابقوه، ولكنه أولى هذا الباب عناية فائقة، واستخرج منه أسرار عجيبة، أخرجت الدرس اللساني العربي من تهمة الخلط والاعتباطية، وحررته من شباك المعيارية وردت أوهام من ادعى أن الصرف العربي يسيطر عليه الرسم الإملائي والرموز الخطية.

إن هذا الترابط الوثيق بين مستويات اللغة عند العرب، التي يكون الصرف حلقة الوصل بين أدنى مستوياتها وهو المستوى الصوتي وبين أرفع مستوى وهو المستوى الإِبلاغي الدلالي، يشكل نظرية متكاملة، لطالما سعت اللسانيات الحديثة إلى تجسيدها بدراستها لكافة مستويات اللغة، "فالتحليل اللساني يبدأ بالأصوات لأنها العناصر الأولى في تشكل الكلمات أو الوحدات الدالة، ثم ينظر في بناء الكلمة من حيث الشكل والوظيفة"²⁸، ومنه إلى المستوى النحوي ثم الدلالي.

مثال آخر: ظاهرة الإعلال فإن إبدال حروف العلة بما يناسب الحركة التي قبله، لا يمكن أن عد من قبيل التسهيل فقط والتخفيف على الناطقين، بل هي آلية تتعلق بالأفعال والأسماء المعتلة من قبيل الأجوف والمهموز والمضاعف لإدراك معنى الافتراض، وحتى تطرد هذه الأبنية في مضمار واحد مع الأبنية الصحيحة، وليس هذا التقدير موهما بأن العرب قد تكلموا به على تلك الأصول، بل إن النظرية النحوية تسعى إلى وصف الظاهرة في حد ذاتها ومقابلتها بغيرها من الظواهر الأخرى القريبة منها والبعيدة،

ثم تصنيف المسائل النحوية بالنظر إلى الخصائص المشتركة، هو نفس الهدف التي تتبناه اللسانيات الحديثة، وهو ما عرف عند العرب بالقياس "وفضل القياس عظيم لأنه حمل من كان يتعاطاه على البحث عما يصح وما لا يصح بالجوء إليه ويبرر ذلك دائما بكيفية علمية موضوعية، فبما أن اللغة بنى ومجار فاضطروا إلى تحليلها تحليلًا إجرائيًا دقيقا جدا

وتفطنوا – وخاصة الخليل بن أحمد- إلى أن البنية التي لا تحليل لها إلا بوسائل عقلية خاصة هي بالضرورة من قبيل الرياضيات كما تصورها الخليل29، وهو بالضبط ما تقرره الدراسات اللسانية الحديثة وخاصة البنوية الوصفية من وصف الظاهرة اللغوية وصفا دقيقا، وإعطائها صبغة موضوعية، متأثرة ومسايرة للثورة العلمية الحديثة.

خاتمة:

إن الحديث عن اللسانيات الحديثة وما يقابلها في الدرس النحوي القديم يبدو لأول وهلة أشد ما يكون من التناقض والاختلاف، لا من حيث بعدهما النظري والإجرائي، ولا من حيث البعدين الزمني والمعرفي، ولا شك أن بينها صلة كبيرة وارتباطا وثيقا، ويتقاطعان في كثير من المسائل الجوهرية، وهذه التوافقات المعتبرة بين الطرفين تدل على أن التفكير اللساني متغلغل في النحو العربي، وإن اختلفت الخلفيات المعرفية وظروف النشأة، ولئن وقف البنيويون موقفا سلبيا اتجاه الدرس العربي وأعلنوا القطيعة عليه، فإن النظرية التوليدية التحولية التي أنصفت الى حد بعيد الدرس اللساني العربي القديم، وذلك للتوافقات الكثيرة بين النظريتين في التصورات والإجراءات والقواعد، بل يمكن القول أن هذه النظرية استمدت واستلهمت كثيرا من مناهجها من النحو العربي القديم، وما التوافقات التي أشرت إليها في هذا العرض إلا حوصلة صغيرة ودفعة يسيرة لمعرفة حق الدرس اللساني العربي، والإفادة منه وخاصة البحث الصوتي والصرفي، ولا يمكن بحال غمط حق اللسانيات الحديثة وما توصلت إليه من نتائج يستفيد منها الدارس العربي، ولكن على سبيل الإضافة والإثراء ، لا على سبيل التأثير الهادم، والإلغاء القاصم،

قائمة المصادر والمراجع:

- 1- أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، دار الفكر دمشق، ط3، سنة 2008
- 2- الطيب البكوش، التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث، مكتبة الاسكندرية، الطبعة الثالثة.
- 3- ابن جني أبو الفتح عثمان، الخصائص، ت د عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية،
- 4- عبد العزيز حليبي، اللسانيات العامة واللسانيات العربية، منشورات مجلة لسانية دراسات سال، 1991.
- 5- عبد الرحمان الحاج صالح، منطق العرب في علوم اللسان، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، 2010.
- 6- عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، ط2، 1986.
- 7- القفطي، إنباه الرواة، ت محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة 1982،
- 8- رضي الدين محمد بن الحسن الأستراباذي، شرح شافية ابن الحاجب، دار الكتب العلمية، بيروت، 1982.
- 9- ليونز، اللغة وعلم اللغة، ترجمة التوني.
- 10- نصرالدين بوحسين، مدخل إلى اللسانيات التطبيقية، دار الأمل، الجزائر.
- 11- نعوم تشومسكي، اللسانيات الديكارتية،
- 12- رسالة دكتوراه، منهج الكوفيين في الصرف، د مؤمن بن صبري غنام، جامعة أم القرى كلية اللغة العربية.

هوامش البحث

- ¹أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، دار الفكر دمشق، ط3، سنة 2008: ص 16.
- ²عبد العزيز حليبي، اللسانيات العامة واللسانيات العربية، منشورات مجلة لسانية دراسات سال، 1991: ص 12
- ³عبد الرحمان الحاج صالح، منطق العرب في علوم اللسان، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، 2010: ص 9-10
- ⁴أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، ص 26
- ⁵ينظر: المرجع السابق: ص 30
- ⁶الحاج صالح، منطق العرب في علوم اللسان: ص 18.
- ⁷القفطي، إنباه الرواة، ت محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة 1982، ج1 ص 40.
- ⁸ينظر: عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، ط1986، 2: ص21.
- ⁹الحاج صالح، منطق العرب في علوم اللسان: ص 10
- ¹⁰ينظر: عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية: ص 23
- ¹¹الحاج صالح، منطق العرب في علوم اللسان: ص 12-13.
- ¹²عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية: ص 23.
- ¹³الحاج صالح، منطق العرب في علوم اللسان: ص 14.
- ¹⁴الطبيب البكوش، التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث، مكتبة الاسكندرية، الطبعة الثالثة 1992: ص 24.
- ¹⁵ليونز، اللغة وعلم اللغة، ترجمة التوني: ص 51-52.
- ¹⁶الحاج صالح، منطق العرب في علوم اللسان: ص 12.
- ¹⁷الطبيب البكوش، التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث: 10.
- ¹⁸نعوم تشومسكي، اللسانيات الديكارتية، ص 152
- ¹⁹ينظر: عبد الرحمان الحاج صالح، منطق العرب في علوم اللسان، ص 13-14.
- ²⁰الشاعر الجاهلي غنتر بن شداد العبسي، صاحب المعلقة، وهذا الشطر هو صدر معلقته.
- ²¹نصرالدين بوحياسين، مدخل إلى اللسانيات التطبيقية، دار الأمل، الجزائر، د ط: ص 116.
- ²²المرجع نفسه: ص 114-115.
- ²³عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية : ص106.
- ²⁴أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، ص 185.
- ²⁵رضي الدين محمد بن الحسن الأسترباذي، شرح شافية ابن الحاجب، دار الكتب العلمية، بيروت، 1982: ج1، ص6.
- ²⁶رسالة دكتوراه، منهج الكوفيين في الصرف، د مؤمن بن صبري غنام، جامعة أم القرى كلية اللغة العربية، ص1.
- ²⁷ابن جني أبو الفتح عثمان، الخصائص، ت د عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، ج 2، ص157.
- ²⁸أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات: ص 30.
- ²⁹عبد الرحمان الحاج صالح، منطق العرب في علوم اللسان، ص171.